**ملخّص برنامج الخاتمة - الحلقة(110)**
**اعرف امامك ج٩**
**صحائف العقيدة السليمة -القسم(3)**
**الصحيفة الثانية :أصل الأصول (ق١)**
**-الإمام المعصوم هو أصل الدين**
**الخميس : ٩/شهررمضان/١٤٤٢هـ - الموافق ٢٢/٤/٢٠٢١م**
**عبد الحليم الغزّي**

نحنُ قد وصلنا وفتحنا الصحيفة الثانية من صحائف العقيدة السليمة والَّتي عنوانها (أصلُ الأصول)، فكُلُّ إمامٍ من أئمَّتنا هو أصلُ الأصول، والشيعةُ في زمانِ كُلِّ إمامٍ فإنَّ أصل أصول دينهم هو إمامُ زمانهم، وما كَان لأوّلهم فهو لآخرهم وما كانَ لآخرهم فهو لأوَّلهم صلواتُ الله وسلامهُ عليهم أجمعين، هذه بديهياتُ ثقافتنا العقائدية الَّتي تستندُ إلى المنابع الأصيلة، لا شأن لي بمنابع ثقافة السقيفة ولا شأن لي بمنابع ثقافة حوزة النَّجف، حينما أتحدَّثُ عن النَّجف إنَّني لا أتحدَّثُ عن الجغرافيا، أتحدَّثُ عن المنهج، فكربلاء داخلةٌ وقم داخلةٌ، لكنَّ النَّجف هو العنوان، فالحديثُ عن منهج مراجع الشيعة منذُ زمان الطوسي وإلى يومنا هذا، وليس الحديثُ عن بُقعة جغرافية بعينها، فإنَّ الحوزة الَّتي أسَّسها الطوسي في النَّجف ما بقيت طيلة الزمانِ في النَّجف، انتقلت مرةً إلى الحلَّة، ومرةً إلى كربلاء، ومرّةً إلى سامَراء وهكذا، الحديثُ عن المنهج.

**سورةُ المائدة:**

**إنَّها الآيةُ الأعظمُ والأخطر** السابعةُ والستون بعد البسملة من سورة المائدة، أعتقدُ أنِّي وإيَّاكم مُتَّفقون على أنَّ الآية هذه في بيعة الغدير وما عندنا من شكٍّ في ذلك: ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ** - خطابٌ لمُحَمَّد صلَّى الله عليه وآله بصفة الرسالة - **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ** - في أيِّ شيء؟ في شأن علي، في بيعة علي، في ولاية علي، حيثُ تبدأُ مرحلةُ التأويل الَّتي تنسخُ مرحلة التنزيل، فما بعد الغدير كان ناسخاً لِمَا قبل الغدير، مثلماً قال صلَّى الله عليه وآله لأمير المؤمنين: (**من أنَّك ستُقاتلُهم على التأويل مثلمَا قَاتَلتُهم** - أنا مُحمّدٌ صلَّى الله عليه وآله - **على التَنزيل**)، التأويلُ مرحلةٌ جديدةٌ، انتقالةٌ جديدةٌ للدين بكُلِّ تفاصيله ابتداءً من العقيدة وانتهاءً بكُلِّ تفاصيل الأحكام والسنن والطقوس.

**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ** - لا أعتقدُ أنَّ نصاً أوضح من هذا النص في بيانِ أنَّ الإمام المعصوم في كُلِّ زمانٍ هو أصلُ أصول الدين، هو أصلُ الدين - **وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ** - رسالةُ مُحَمَّد على أيِّ شيء تشتمل؟ تشتملُ على التوحيد، تشتملُ على نُبوَّة مُحَمَّد نفسه صلَّى اللهُ عليه وآله، تشتملُ على القُرآنِ بظاهرِه وباطنه، تشتملُ على كُلِّ تفاصيل الأحكام والسُنن والآداب، إنَّها رسالةُ مُحَمَّد بكُلِّها من أولها إلى آخرها هنا في هذه الآية تساوي صفراً من دونِ علي.

الآيةُ واضحةٌ: **وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ** - وإذا ما دقَّقنا النظر فإنَّ الآية تتحدَّثُ عن بيعة الغدير، وبيعةُ الغديرِ شأنٌ من شؤونِ إمامة علي صلواتُ الله وسلامهُ عليه، والإمامةُ شأنٌ من شؤون علي..

قطعاً مُحَمَّدٌ صلَّى اللهُ عليه وآله ليس مُحتاجاً لذاته المقدَّسة أن يُخاطب بهذا الخطاب، إلَّا أنَّ القُرآن نزلَ بإيَّاك أعني واسمعي يا جارة، هذا الخطابُ لي ولكم، من أنَّ كُلَّ شيء يرتبطُ بدينكم لا قيمة لهُ من دونِ علي، هذه هي الحقيقةُ الَّتي يريدُ القُرآنُ أن يوصلها إلينا، وإلَّا فَمحمّدٌ صلَّى اللهُ عليه وآله هو الأعرفُ بعلي وفضل علي، ومُحمّدٌ هو علي وعلي هو مُحمّدٌ صلَّى اللهُ عليهما وآلهما.

وتستمرُّ الآيةُ السابعةُ والستون بعد البسملة من سورة المائدة: ﴿**وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ**﴾ هذا هو أصلُ الأصول الَّذي من دونه لا يبقى إيمانٌ ولا دين، وإنَّما سيكونُ الناسُ كُفَّاراً، الآيةُ واضحةٌ صريحةٌ، قارنوا بين هذا المنطق القُرآني الواضح وبين ما يتحدَّثُ به مراجعُ النَّجف في كُتبهم الفقهية العقائدية وفي فتاواهم الغبية السفيهة الَّتي يُصدرونها بين الفَينة والأخرى، قارنوا بين هذا المنطقِ الواضح الصريح الَّذي لا حاجة للجدل حولهُ، الآيةُ بيّنةٌ واضحةٌ مُحكمة، ونحن مُتَّفقون على أنَّ الآية في بيعة الغدير.

**فلنذهب إلى الآية الثالثة بعد البسملة من نفس السورة من سورة المائدة:**

وهذه الآيةُ وهي الآيةُ الثالثةُ بعد البسملة من المائدة نزلت بعد الآية السابعة والستين بعد البسملة من سورة المائدة، وضعوها في بداية السورة على أيِّ حال، المفترضُ أنَّ الآية تأتي بعد تلكَ الآية، على أيِّ حال نحنُ والمصحفُ الَّذي بين أيدينا: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي** - هل كانَ الدِّينُ ناقصاً؟ معقولٌ هذا من أنَّ دين مُحَمَّد كانَ ناقصاً؟! هل كانت النعمة ليست تامَّةً بمُحمّد علينا حينما بُعث معقولٌ هذا الكلام؟! مُحمّدٌ هو جوهر الكمال، ومُحمّدٌ هو جوهر التمام، كمالُ الدين بمُحمّد وتمامُ النعمة بمُحمّد صلَّى اللهُ عليه وآله - **الْيَوْمَ** - إنَّهُ يومَ الغدير، إنَّهُ يوم البيعة مع مُحمّد وعلي صلَّى اللهُ عليهما وآلهما - **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ** - فهل كانَ الدينُ ناقصاً يُعقَلُ هذا بوجود مُحمّد؟! الدينُ بوجود مُحمّد كانَ ديناً كاملاً، لكنَّ القضية بالضبط الدينُ في زمانِ موسى عندَ بني إسرائيل كانَ ديناً كاملاً، لكن حينما جاءَ عيسى فنَسَخَ عيسى بدينه دين موسى، فدينُ موسى حينما نُسخ بدينِ عيسى جاءهُ وصفُ النقص، وصفُ النقص أُخذتُ فيه حيثيةٌ بشروطها، فالدينُ في زمان مُحمّد صلَّى اللهُ عليه وآله كانَ في مرحلة التنزيل وسأشرح لكم هذا حينما يصلُ الحديثُ إلى شؤون النُبوَّة والَّتي هي جزء من معرفة الإمام..

**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً** - هذا يعني أنَّ الإسلام قبل يوم الغدير لم يكن ديناً مرضياً؟ هل يُعقَلُ هذا الكلام؟! الإسلامُ كانَ ديناً مرضياً، وكانَ ديناً كاملاً، وكانت النعمةُ تامَّةً بحدود مرحلة التنزيل، ولكن إذا ما نظرنا إلى مرحلة التأويل فإنَّ الإسلامَ لن يكونَ ديناً مرضياً عندَ الله وعندَ رسوله وعند آل رسوله، الآيةُ تخبرنا عن هذه الحقائق وكُلُّ هذه الحقائق تعودُ بنا إلى أصل أصول الدين.

**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ** - بعلي - **وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي** - بعلي - **وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً** - بعلي، حين أقولُ بعلي يعني بمُحمّد وعلي، فنُبوَّةُ نبينا لم تبدأ، تلكَ مُقدماتٌ، وإلَّا هل من المعقول أنَّ خاتم الأنبياء ثمرةُ جُهوده وثمرةُ رسالته أن ترتدَّ الأُمَّةُ على أعقابها ولا يبقى من الأُمَّة على دينه إلَّا ثلاثة؟! هل يُعقلُ هذا الكلام؟! فأيَّةُ رسالة خاتمة وأيُّ دينٍ هو هذا الدينُ الَّذي أكملهُ الله وأتمَّهُ ورضيهُ ديناً للناس؟! وأيُّ نبيٍّ خاتمٍ هذا؟! وأيُّ سيدٍ للأنبياء والمرسلين هذا؟! مرحلةُ التنزيل كانت مُقدِّمةً لنُبوَّته صلَّى اللهُ عليه وآله، نُبوَّتهُ الحقيقيّةُ تظهرُ ألطافها وآثارها في مرحلة الرجعة العظيمة في

الدولة الْمُحَمَّدِيَّة الَّتي ستستمرُ خمسين ألف سنة، هذه التفاصيلُ حدَّثونا عنها لكنَّ هؤلاء الأغبياء أقنعونا بنُبوَّةٍ وفقاً لمقاساتِ ثقافةِ سقيفة بني ساعدةَ، هذه هي الحقيقة.

أتمنَّى عليكم أن تُعطوا لأنفسكم فُرصةً كي تتدبَّروا في هذه الآيات الَّتي سأعرضها بينَ أيديكم في هذه الحلقة وفي غيرها، هذا هو شهرَ القُرآن شهرَ رمضان، التدبُّر في هذه الآيات أفضلُ تريليونات المرّات من الحرص على تلاوة القُرآن في هذا الشهر لأجل أن تختموا قراءتهُ، الهدفُ هو أن تصلوا إلى النهاية، إمامنا الصادقُ يقول: (**إذَا مَا قَرَأتَ سُورَةً منْ سورِ القُرآن فَلا يَكُنْ هَمَّكَ آخرهَا**)، تريدُ أن تصل إلى آخرها، في شَهرِ رمضان الَّذي هو ربيعُ القُرآن الشيعةُ يقرؤون القُرآن وهمّهم أن يصلوا إلى آخره، كي يختموا القُرآن مرّةً مرّتين، أكثر من ذلك، ويتركونَ وراءهُم هذه الحقائق، وهذا ما حدَّثتكم عنهُ في الحلقة الماضية، مشكلةُ اضطراب الأولويات عند الشيعة.

**أذهبُ بكم إلى سورة طه:**

وفي الآية الثانية والثمانين بعد البسملة من سورة طه تطبيقٌ قُرآنيٌ عمليٌ واقعيٌ لما تقدَّم من التنظير لهُ في الآيات المتقدِّمة الذكر من سورة المائدة: ﴿**وَإِنِّي** - سبحانهُ وتعالى هو الَّذي يقول - **وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً** - قطعاً الَّذي يتوب لابُدَّ أن يكونَ قد آمن بما آمن به قبلَ التوبة، وإلَّا كيف تاب؟! كانَ مؤمناً لكنَّهُ ضلَّ الطريق، وقعَ في المحذور، عصا، أخطأ، إلى سائر المعاني، فكانَ مؤمناً وعثرَ وتاب - **وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ** - كانَ مؤمناً وتاب - **وَآمَنَ** - ترقَّى إيمانهُ إلى إيمانٍ أعلى - **وَعَمِلَ صَالِحاً** - عملهُ الصالحُ هذا يتناسبُ معَ الإيمان الأرقى، فهل يستحقُّ المغفرة؟ الآيةُ تقولُ لا، لابُدَّ من شرطٍ آخر - **ثُمَّ اهْتَدَى** - ثُمَّ اهتدى إلى ولايةِ عليٍ، إلى ولايةِ الحُجَّةِ بن الحسن، بالنسبة لنا، بالنسبة لهذه الشيعة ولهذا الزمان - **وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى**﴾ ، لولايةِ عليٍ ولكنَّهُ ما اهتدى لولايةِ الحُجَّةِ بن الحسن، لا معنى لولايةِ عليٍ حينئذٍ، ولايةُ عليٍ يتجلَّى معناها في ولايةِ الحُجَّةِ بن الحسن.

﴿**وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى**﴾ ، الآيةُ استعملت حرف العطف الواو، لكن حين وصل الحديثُ إلى عليٍ إلى الحُجَّةِ بن الحسن جاء الحرف (ثُمّ)، هناك مرحلةٌ انتقاليةٌ هائلة، ﴿**وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى**﴾.

هكذا نقرأ في الزيارة الغدير يةِ الَّتي نزورُ أمير المؤمنين صلواتُ الله وسلامهُ عليه بها وهي مرويةٌ عن إمامنا الهادي مثلما وردت الزيارةُ الجامعةُ الكبيرة عن إمامنا الهادي وردت الزيارة الغديرية الَّتي نزور الأمير بها يومَ الغدير عن إمامنا الهادي أيضاً صلواتُ الله وسلامهُ عليه، فنقرأ فيها أقرأ عليكم من (مفاتيح الجنان): **وَأَنَّهُ** - وأنَّ رسول الله نحنُ نتحدَّثُ معَ أمير المؤمنين - **وَأَنَّهُ القَائلُ لَكَ** - رسولُ الله يقولُ لك يا أمير المؤمنين - **وَأَنَّهُ القَائلُ لَكَ: وَالَّذي بَعَثَني بِالْحَقِّ مَا آمَنَ بِي مَنْ كَفَرَ بِكَ وَلَا أَقَرَّ بِالله مَنْ جَحَدَكَ وَقَدْ ضَلَّ مَنْ صَدَّ عَنْكَ وَلَمْ يَهْتَدِي إِلَى الله وَلَا إِلَيَّ مَن لَا يَهْتَدي بِك وَهُوَ قَولُ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ: "وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى إِلَى وِلَايَتِك"** - إلى ولايةِ الحُجَّة بن الحسن، هل تريدون تفسيراً تأويلاً أقوى وأدل وأوضح من هذا الكلام؟!

هذا القُرآنُ هو الَّذي يقول: ﴿**وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى**﴾.

وهذا مُحمّدٌ يقولُ لعليٍ بعد أن قال ما قال: (**وَهُوَ قَولُ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ: "وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى إِلَى وِلَايَتِك**")، يا أمير المؤمنين، وفي زماننا هذا ثُمَّ اهتدى إلى ولايةِ الحُجَّة بن الحسن، هذا هو أصلُ الأصول في ديننا.

وما جاء في سورة يس في الآية الثانية بعد العاشرة بعد البسملة من السورة: ﴿**وَكُلَّ شَيْءٍ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ**﴾، وعليٌ هو الَّذي يقول: (أنَا ذَلكَ الإمامُ الْمُبين، الَّذي أُحصي فيه كُلَّ شيء) عليٌ، الحُجّةُ بن الحسن، إنَّهُ أصلُ الأصول، ﴿**وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ**﴾، الآيةُ واضحةٌ، هل أحتاجُ إلى شرحها وبيانِ دلالتها على أنَّ الإمام هو أصلُ الأصول في ديننا؟! الآيةُ واضحةٌ تتعانقُ مع الآياتِ المتقدِّمة الَّتي عرضتها بين أيديكم.

في (بصائر الدرجات) وقد يُعرفُ (ببصائر الدرجات الكبرى) ، لشيخنا أبي جعفرٍ الصفار، من أصحابِ إمامنا الحسن العسكري وهو من رجالِ ورواة عصر الغيبة / في الصفحة السادسة والأربعين / إنَّهُ الحديثُ الثامن: **بسنده، عَن أَبي حَمزة الثُّمَالي، عن إمامنا البَاقِرِ صلواتُ الله عَلَيه** - يُحدِّثنا بحديثٍ جرى فيما بين رسول الله وأمير المؤمنين، أذهبُ إلى موطن الحاجة الَّذي يرتبطُ بما نحنُ فيه، النبي الأعظم صلَّى الله عليه وآله يقولُ لأمير المؤمنين: **يَا عَلِيّ، أَنْتَ أَصْلُ الدِّينِ** - وتُعساً لدينٍ لا يكونُ عليٌ أصلهُ - **يَا عَلِيّ، أَنْتَ أَصْلُ الدِّين وَمَنَارُ الإِيْمَان وَغَايَةُ الْهُدَى وَقَائدُ الغُرِّ الْمُحَجَّلين** - ثُمّ يقولُ لهُ: **أَشْهَدُ لَكَ بِذَلك** - مُحمّدٌ الأعظمُ صلَّى اللهُ عليه وآله هو الَّذي يشهدُ لعليٍ بهذا، أين تضعون منظومة أصول الدين الخمسة هذا الهراء المسخ أين تضعونهُ من هذا المنطق؟! هو منطقُ القُرآنِ نفسه، نفسُ القُرآن يتحدَّثُ بهذا المنطق وعرضتُ عليكم شيئاً من نفحاتِ آياته، اجمعوا بينَ هذه المضامين ستصلون إلى شاطئ الأمان.

وفي هذا الكتاب الشريف نفسه أتحدَّثُ عن (بصائر الدرجات) لشيخنا الصفَّار رضوان الله تعالى عليه، صفحة (٤٧٧)، هناك رسالةٌ مُفصَّلةٌ كتبها إمامنا الصادقُ جواباً لرسالة بعث بها المفضَّلُ بن عمر إلى إمامنا الصادق، يسألهُ فيها عن أمور العقيدة وعن منزلة مُحَمَّد وآل مُحَمّد، رسالةٌ طويلةٌ مُفصَّلة، تبدأ في صفحة (٤٧٧) من الطبعة الَّتي أشرتُ إليها من كتاب بصائر الدرجات. في صفحة (٤٧٩) إمامنا الصَّادقُ يكتبُ بخطِّ يده إلى المفضَّل بن عمر يخبرهُ عن أصل هذا الدين، فماذا يقول: **ثُمَّ إِنِّي أُخْبِرُك** - يُخبرُ المفضَّل بن عمر، المفضَّل كان في الكوفة، والإمامُ الصَّادقُ كانَ في المَدينة - **ثُمَّ إِنِّي أُخْبِرُك أَنَّ الدِّينَ وَأَصْلَ الدِّينِ هُوَ رَجُل** - من هو هذا الرجل؟ بالضبط لو أنَّ الرواية وقفت عند هذا الحد، ولا قرأنا آيات القُرآن، ولا استمعنا إلى حديث مُحَمَّد مع عليٍ (يَا عَلِيّ أَنْتَ أَصْلُ الدِّين)، هكذا وجدنا كلاماً مكتوباً بخطِّ يد إمامنا الصَّادق، (**أَنَّ الدِّينَ وَأَصْلَ الدِّينِ هُو رَجُل**)، هل هناك من احتمالٍ نستطيعُ أن نحتملهُ بحسبِ ثقافتنا وعقائدنا ووجداننا الشيعي، هل هناكَ من احتمالٍ نحتملهُ يمكن أن ينطبق على غيرِ إمامِ زماننا؟! أتحدَّثُ عن زماننا هذا، هل يمكنُ ذلك ؟ أتحدَّثُ في أجواء ثقافتنا الشيعيَّة وعقائدنا الشيعيَّة وتربيتنا الشيعيَّة ووجداننا الشِّيعي، هذا الكلامُ هو نفسهُ قلتهُ لكم حينما قرأنا ما جاء في سورة البيِّنة: ﴿**وَذَلكَ دِينُ الْقَيِّمَة**﴾ ، هل هناك من قيمةٍ نستطيعُ أن نحتملها بعيداً عن فاطمة؟! الأمر هو هو، هل هناك من رجلٍ نستطيعُ أن نحتملهُ بعيداً عن الحُجَّة بن الحسن؟!

لنستمر في الحديث الإمامُ الصَّادقُ يكتبُ للمفضَّل بن عمر: **ثُمَّ إِنِّي أُخْبِرُك أَنَّ الدِّينَ وَأَصْلَ الدِّينِ هُوَ رَجُل، وَذَلكَ الرَّجُل هُوَ اليَقِيْن وَهُوَ الإِيْمَان** - من هو هذا؟ - **وَهُوَ إِمَامُ أُمَّته وَأَهْل زَمَانه، فَمَن عَرَفَهُ عَرَفَ الله وَمَنْ أَنْكَرَهُ أَنْكَرَ الله وَدينَه، وَمَنْ جَهِلَهُ جَهِلَ اللهَ وَدِيْنَهُ وَحُدُودَهُ وَشَرَائعَه** - إلى آخرِ ما جاء في الرسالةِ الطويلةِ المفصَّلة، لكنَّ هذا المقدار يكفينا في توضيحِ معنى أنَّ الإمامَ هو أصلُ الأصول، هو مدارُ الدين، هو محورُ العقيدة هو هو

هوَ، هوَ الأوَّلُ والآخر صلواتُ الله وسلامهُ عليه، كما يقولُ أمير المؤمنين: ( أنَا الأوَّلُ أنَا الآخر أنَا الظَاهرُ أنَا البَاطن، أنَا الْمُحْيِي أنَا الْمُمِيْت)، الإمامُ هو الأوَّلُ هو الآخر، هوَ الظاهر هو البَاطن.

زيارةُ آل يس الزيارةُ المعروفةُ الَّتي تُعرفُ في كُتبِ المزارات (بزيارةِ آل يس المشهورة)، أتحدَّثُ عن كُتبِ المزارات القديمة، في زيارةِ آل يس وهي الزيارةُ الَّتي وردتنا من الناحيةِ المقدَّ سة، إمامُ زماننا بعثَ بها إلينا كي نزورهُ بهذهِ الزيارة، وهي تَشتملُ على عرضٍ إجماليٍ لأهمِّ العناوينَ التفصيليةِ في ثقافتنا العقائدية.

أذهبُ إلى جُملة واحدة ممَّا جاء في هذه الزيارة، بعد أن نُخاطب إمام زماننا: **وَأَشْهَدُ أَنَّكَ** - يا بقيَة الله - **وَأَشْهَدُ أَنَّكَ حُجَّةُ الله** - فماذا نقولُ لهُ بعد ذلك؟ - **أَنْتُمُ الأَوَّلُ وَالآخَر** - أنتم أصلُ الأصول، هذه الجملةُ من زيارةِ آل يس تجمعُ كُلَّ الَّذي تقدَّم من حديثي بنصوص الآيات والروايات: **وأشهد أَنَّك حُجَّةُ الله** - يا إمام زماني - **أَنْتُمُ الأَوَّلُ وَالآخر** - وانتهينا، هل يوجدُ كلامٌ بعد ذلك؟ هم أصلُ الأصول، إمامُ زماننا أصلُ الأصول.

فإذا أردنا أن نرسم خارطتنا العقائدية لابُدَّ أن نبدأ من هنا، البدايةُ منهُ والنهايةُ عندهُ، هذا هو قائمُ الدين، سيأتي الحديثُ تِباعاً عن قَيمةِ الدين، لكنَّ البداية من هنا؛ (**مَن بَاتَ لَيلةً لَا يَعرِفُ فيْهَا إِمَامَ زَمَانه مَاتَ مِيْتَةً جَاهليّة**).

تطبيقٌ عمليٌ أيضاً لنفس القاعدة الَّتي مرَّت: (أَنْتُم الأَوَّلُ وَالآخر)، فماذا نقرأُ في الزيارة الشريفة نفسها؟: **فَالْحَقُّ مَا رَضيتُمُوه وَالبَاطلُ مَا أَسْخَطْتُمُوه وَالْمَعْرُوفُ مَا أَمرتُم بِه وَالْمُنْكَرُ مَا نَهَيتُم عَنه فَنَفْسي مُؤْمنَةٌ بِالله وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَه وَبِرسُوله وَبِأَمِيرِ الْمُؤْمنِين وَبِكُم يَا مَوْلاي** - يا بقية الله - **أَوَّلُكُم وَآخِرِكُم وَنُصْرَتِي مُعَدَّةٌ لَكُم وَمَودَّتِي خَالِصَةٌ لَكُم** - الإمامُ هو أصلُ الأصول، هم أصلُ الأصولَ، الحُجَّةُ بنُ الحَسن هو أصلُ أصولِ ديننا، كُلُّ الحقائقِ تدورُ حولهم وتدورُ بهم، تدورُ حولهم وتدورُ بهم لأنَّهم هم السَّبب، هم السَّببُ المتَّصلُ بينَ الأرض والسماء، هم السَّبب هم الَّذين يسببون الأسباب، تارةً بسببٍ وتارةً من دونِ سبب، (**فَمَا شَيءٌ منَّا** - سأقرأ عليكم من المصدرِ - **فَمَا شَيءٌ منَّا إِلَّا وَأَنْتُم لَهُ السَّبَب وَإِلَيه السَّبِيل**) أصلُ الأصول أنتم..

أقرأ عليكم من (مفاتيح الجنان) وهذه الزيارةُ الجامعةُ الكبيرة، دستورنا العقائدي الشريف، ماذا نقرأ فيها؟ أذهبُ إلى جملة من جُمل هذه الزيارة: **وَالْحَقُّ مَعَكُم** - هذا أحدُ القوانين الأربعين الَّتي قرأتها عليكم في الحلقة الماضية هذا أحدُ القوانين - **وَالْحَقُّ مَعَكُم وَفيكُم وَمنْكُم وَإِلَيكُم وَأَنْتُم أَهْلُه وَمَعْدنُه** - هذا هو شرحٌ وتفصيلٌ لهذا العنوان الموجز؛ (هم أصلُ الأصول) ، عليٌ هو أصلُ الأصول، الحُجَّةُ بن الحسن هو أصلُ الأصول، فإنَّ الحق معهُ مع الحُجَّة بن الحسن، وفيه ومنهُ وإليه وهو صاحبهُ وهو أهلُ الحقّ، ومعدنهُ، وأصلهُ إنَّهُ أصلُ الأصول، تلاحظون أنَّ المعطيات في قُرآنهم المفسَّرِ بتفسيرهم وأنَّ المعطيات في أدعيتهم، في زياراتهم، في رواياتهم، في كُلِّ كلماتهم بشكلٍ واضحٍ تُشخِّصُ لنا: (من أنَّ الدين لهُ أصل)، هناك أصلٌ واحد هو أصلُ الأصول، وأصلُ الأصول هذا هو إمامُ زماننا، أتحدَّثُ عن شيعة أيامنا هذه، وفي زمان كُلِّ إمامٍ من أئمَّتنا فهو أصلُ أصول الدين لشيعة زمانه، لأنَّهم إذا أرادوا أن يرسموا خارطتهم العقائدية في زمانهم ذلك لابُدَّ أنَ يرسموا الخَارطة في بدايتها ونهايتها مَن إمامِ زمانهم، فهوَ أصلُ الأصول. وهذا هو معنى أنَّنا دخلنا في مرحلة التأويل ومن أنَّ التأويل يأتي تدريجياً حتَّى يتكامل في يوم الخلاص، قطعاً التكامُل الأعظم في الدولة الخاتمة في الدولة الْمُحَمَّديَّة، إنَّها جنَّةُ الدنيا في عصرِ الرجعة العظيمة.

من حديث مُفصَّل وطويل عن إمامنا الرضا صلواتُ الله وسلامهُ عليه يتحدَّثُ فيه في شؤونِ الإمامة وفي مراتبِ الأئمَّة ومنازلهم، أقرأ عليكم من (الكافي الشريف) إنَّهُ الجزء الأول، كتاب الحُجّة / الحديثُ طويلٌ يبدأ في صفحة (٢٢٢)، وهو الحديثُ الأول في هذا العنوان (باب نادرٌ جامعٌ في فضل الإمام وصفاته)، في صفحة (٢٢٤)، إمامنا الرضا يُحدِّثنا عن الإمامة الَّتي هي من شؤونِ الإمام: **إِنَّ الإِمَامَةَ زِمَامُ الدِّيْن** - زِمامُ الدين؛ هذا التعبير يُشير إلى نفس المضمون الَّذي تحدَّثت الآياتُ والرواياتُ والزياراتُ السابقة الَّتي عرضتها بينَ أيديكم تحدَّثت عنه، أصلُ الأصول - **إِنَّ الإِمَامَةَ زِمَامُ الدِّيْن** - قلتُ لكم: من أنَّ الإمامة هي من شؤون الإمام، فإنَّ الإمامةَ زِمامُ الدِّين، أصلُ الأصول هو الإمام، وإمامتهُ هي زِمامُ الدين - **إِنَّ الإِمَامَةَ زِمَامُ الدِّيْن وَنِظَامُ الْمُسلمِين وَصَلَاحُ الدُّنْيَا وَعِزُّ الْمُؤْمنِيْن، إِنَّ الإِمَامَةَ أُسُّ الإِسْلَام النَّامي وَفَرْعُهُ السَّامي** - فهي الأصولُ وهي الفروع، أيُّ خيبةٍ عندَ غبران النَّجف وهم يُدرِّسون ويُؤلِّفون ويُحاضِرون ويكتبون ويُعلِّمون الشيعة من أنَّ الإمامة من فروع الدين، أو من أنَّ الإمامة هي دون الفروع! ذوله الغبران الثولان ما تكلولي منين جايبين دينهم منيا مزبلة جاءونا بهذهِ العقائد من أيَّة قُمامةٍ جاءونا بهذا الفكر؟! وهذا حديثُ العترةِ بين أيديهم، من صخَّم الله وجوهم طيح الله حظهم.

الحديثُ عن الإمامة الَّتي هي من شؤونِ الإمام، الإمامُ أعظمُ شأناً من الإمامة هذه، لأنَّ الإمامة هذه الَّتي يتحدَّثُ عنها الإمامُ الرِّضا هي الَّتي يستمرّ حديثهُ فيها فيقول: **بِالإِمَامِ تَمَامُ الصَّلَاة وَالزَّكَاة وَالصِّيَام وَالْحَجِّ وَالْجِهَاد وَتَوْفِيْر الفَيءِ وَالصَّدَقَات وَإِمْضَاء الْحُدُود وَالأَحْكَامِ وَمَنْع الثُّغُور وَالأَطْرَاف** - إنَّها الإمامةُ الَّتي يحتاجها الناس، هذه هي الَّتي أُسُّ الإسلام النَّامي وفرعهُ السَّامي، هذه الإمامةُ من شؤونِ الإمام، الإمامُ هو أصلُ الأصول، إذا كانت شؤونهُ كما يبدو من العبارات من كلمات إمامنا الرضا شؤونهُ تُعدُّ أصلَ الأصول في حياة الدين وحياة أهل الدين، هذه العباراتُ واضحة.

بين يدي (مفاتيح الجنان) وهذا هو الدعاء الَّذي أوصى به إمامُنا الباقرُ صلواتُ الله عليه أن يُقرأ بعد زيارة عاشوراء، رواهُ علقمةُ بن محمد الحضرمي، ولذلك يُعرفُ (بدعاء علقمة) في كُتب الأدعية وفي المزارات، دعاءٌ من خواصِّ الأدعية ومن مُهمَّات ما وردَ في كُتب الأدعية عنهم صلواتُ الله عليهم، الَّذين يعرفون أسرار الأدعية فإنَّ هذا الدعاء من أدعية الأسرار، دعاءُ علقمة الَّذي رواهُ لنا علقمةُ الحضرمي عن باقرِ العلوم صلواتُ الله وسلامهُ عليه، ماذا جاء فيه؟

الزائرُ بحسبِ طقوسِ هذا الدعاء لابُدَّ أن يكون قد زار أمير المؤمنين ولو على البُعد، وزار الحُسين إنْ كان على البُعد أو على القُرب، المفترضُ أنَّ الزائرَ زارَ أمير المؤمنين وزارَ الحُسينَ صلواتُ الله عليهما، لأنَّ الخطاب في ه ذا الدعاء مُثنَّى، وهنا الحديثُ والخطابُ مُوجَّهٌ لأمير المؤمنين ولسيد الشُهداء ولـمُحَمَّد وآل مُحَمَّد جميعاً، ونحنُ نُوجِّهُهُ لإمامِ زماننا صلواتُ الله وسلامهُ عليه الحُجَّة بن الحسن، ماذا نقرأ في هذا الدعاء؟ جُملةٌ قصيرةٌ لكنَّها تُخبرنا عنَ كُلِّ الحقائقِ الَّتي مرت: **لَيْسَ لِي وَرَاءَ الله وَوَرَاءَكُم يَا سَادَتِي مُنْتَهَى** - لماذا؟ لأنَّكم أصلُ الأصول، سبحانهُ وتعالى هو الَّذي جعلكم كذلك، هو جعلكم أصل الأصول في وجوده، وجعلكم أصل الأصول في دينه، جعلكم أصل الأصول في وجوده فعودوا إلى حديث الكساء، لا أجدُ وقتاً كي أتناول هذا الموضوع، لكنَّكم عودوا إلى حديث الكساء: (**إِنِّي مَا خَلَقْتُ** - هذا هو خطابهُ سبحانهُ وتعالى للملأ الأعلى - **إِنِّي مَا خَلَقتُ سَمَاءً مَبْنِيَّةً**)، إلى آخرِ ما جاء في حديث الكساء الشريف، فجعلهم أصل الأصولِ في هذا الوجود، وجعلهم أصل الأصول في دينه.

**لَيْسَ لِي وَرَاءَ الله وَوَرَاءَكُم يَا سَادَتِي مُنْتَهَى** - البدايةُ منكم، (مَنْ أَرَادَ اللهَ بَدَأَ بِكُم) والنهايةُ عندكم - **لَيْسَ لِي وَرَاءَ الله وَوَرَاءَكُم يَا سَادَتِي مُنْتَهَى** - لماذا؟ لأنَّ الله هو الَّذي أرا دَ هذا، هذه القضيّةُ ما هي مزاجيةٌ، صاحبُ الشأن سُبحانهُ وتعالى هو الَّذي أراد ذلك.

في كتاب الكافي الشريف، صفحة (٢٠٦)، الحديثُ التاسع: **عن إمامنا الصَّادقِ صلواتُ الله وسلامهُ عليه يُحدِّثنا عن أميرِ المؤمنين** - الحديثُ طويلٌ أذهبُ إلى موطنِ الحاجة منه، ماذا يقولُ أميرُ المؤمنين صلواتُ الله وسلامهُ عليه: **إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَوْ شَاءَ لَعَرَّفَ العِبَادَ نَفْسَه وَلَكِنْ جَعَلَنَا أَبْوَابَهُ** - جعلهم؛ جعل مُحَمّداً وَآلَ مُحَمّد - **وَلَكِنْ جَعَلَنَا أَبْوَابَهُ وَصِرَاطَهُ وَسَبِيْلَهُ وَالْوَجْهَ الَّذي يُؤْتَى مِنْه، فَمَنْ عَدَلَ عَنْ وَلَايَتِنَا أَوْ فَضَّلَ عَلَيْنَا غَيْرَنَا فَإِنَّهُم عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُون** - فَضَّلَ علينا غيرنا؛ مصداقٌ من مصاديقِ هذا المعنى أن نجعلَ ولايتهم من الفروع، أو أن نجعلَها دون الفروع، هذا تفضيلٌ لآثارهم عليهم، تلكَ هي آثارهم، فكيفَ تكونُ آثارهم أعلى شأناً منهم يا أيّها الأغبياء؟!

ويستمر الأمير فيقول: **فَلَا سَوَاءٌ مَن اعْتَصَمَ النَّاسُ بِه** - ونحنُ نقرأ في الزيارة الجامعة الكبيرة من أنَّ من اعتصم بهم فقد اعتصم بالله - **فَلَا سَوَاءٌ مَنْ اعْتَصَمَ النَّاسُ بِه، وَلَا سَوَاءٌ حَيْثُ ذَهَبَ النَّاسُ إِلَى عُيُونٍ كَدِرَةٍ يُفْرِغُ بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ وَذَهَبَ مَن ذَهَبَ إِلَينَا إِلى عُيُونٍ صَافِيَةٍ تَجْرِي بِأَمْرِ رَبِّهَا** - يا ليتنا نحنُ كذلك، نحن نتمنّى أن نكونَ كذلك في هذهِ القناة وفي هذهِ البرامج وفي البرنامج هذا بشكلٍ خاص - **تَجْرِي بِأَمْرِ رَبِّهَا لَا نَفَادَ لَهَا وَلَا انْقِطَاع.**